الدكتورة عُلى المحمد

دور الأسرة في تحقيق التماسك المجتمعي

(دراسة نظرية عن أهمية الأسرة)

دور الأسرة في التماسك المجتمعي

نعيش اليوم في عالم واسع متسارع الخطى متصارع القوى تتقاذفنا فيه أمواج الإنفتاح تعلو بنا تارة وتنخفض بنا تارة أخرى تغيرنا ، تقولبنا تؤثر فينا وترسم لكل منا شخصية تحمل في طياتها ما هو سلبي وما هو إيجابي وما هو قريب من التنشئة السليمة وما هو بعيد عنها ووسط هذا الخصم الواسع يظهر لنا وبوضوح أهمية الأسرة تلك النقطة المحورية الأساسية في دائرة الحياة والمجتمع فهي اصغر وأهم مؤثر جماعي ، إجتماعي ، مجتمعي ، تلك النواة التي قد تكون إما دافعا" نحو تقدم البشرية وإما عائقا أمام تقدمها .

وقد توافق المفكرون والفلاسفة والباحثون على عظمة وأهمية هذا الدور الذي تقوم به هذه المؤسسة التربوية على كافة الصعد وبمختلف الأساليب. من هنا وإنطلاقا من هذه الأهمية للأسرة سنحاول في هذه الأوراق البحثية تبيان العلاقة بين الترابط الأسري والترابط المجتمعي إنطلاقا من السؤال التالي : ما هو دور التربية والتنشئة الأسرية في تحقيق التماسك المجتمعي ؟ وما هي المشكلات الأسرية التي قد تقف بوجه تحقيق هذا التماسك ؟

ومن أجل الإجابة على هذه التساؤلات كان لابد من تحديد العديد من النقاط المساعدة على تبيان هذا الدور وهذه العلاقة وذلك تبعاً لما يلي:

1-تعريف مصطلحات الدراسة

2-الأسرة كنظام إجتماعي

3-الوظائف والعمليات الإجتماعية للأسرة

4-المشكلات الأسرية

5-حاجات الطفل والعوامل المؤثرة في نموه الإجتماعي

6-نماذج من مناهج واساليب تربوية

7-الأسرة بين الأمس واليوم

8-نحو تربية وتنشئة أسرية سليمة

- 1مصطلحات الدراسة

الدور : جمعة أدوار ويعني المهمة والوظيفةوهي إحدى المعاني الواردة في معجم المعاني الجامع (معجم عربي ، عربي)

التربية : هي كل عملية أو مجهود أو نشاط يؤثر في قوة الإنسان أو تكوينه والتربية بمفهومها الشامل هي الوسيلة التي تساعد الإنسان على بناء قيمة وعاداته ونظمه السياسية والإجتماعية والإقتصادية هي عملية صناعة الإنسان وتكييفه مع بيئته وتفاعلها معها .

التنشئة : أصل الكلمة من الفعل نشأ ومعناه في اللغة ربا وشب وكلمة نشأ تعني أيضا الولد الذي كبر وشب ولكن لم يتكامل هذا لغة ، اما اصطلاحا فهي طريقة تهدف إلى تدريب الأفراد على كيفية القيام بأدوارهم ليصبحوا فاعلين في المجتمع وهي عملية مستمرة طيلة حياة الإنسان (هلا الصالحين ، مجلة بنيان)

التماسك : ويعني الإرتباط الوثيق ، على الصعيد الإجتماعي فالتماسك يعبر عن مدى قوة الروابط بين أعضاء الجماعة وكلما زاد تماسك الجماعة كلما زادت قدرة الجماعة على فرض معاييرها السلوكية على أفرادها

(محمد صقر عاشعد)

1-الأسرة : الأسرة هي المفرد لكلمة أسرات او أسرات أما العائلة فجمعها عائلات وعوائل والأسرة تتكون من أفراد تربطهم صلة القرابة من خلال التزاوج والانجاب وتساهم الأسرة في النشاط الإجتماعي في كل جوانبه المادية ، الروحية ، العقائدية ، الإقتصادية (مصطفى الخشاب) .

2-الأسرة كنظام الإجتماعي

تحتل الأسرة المركز الأول من جهة الأهمية على صعيد التربية والتنشئة ، ففي الأسرة يتعرف الطفل علبى علاقاته الإجتماعية الأولى التي يكتسب من خلالها خبراته ومعارفه ولا يوجد أي مؤسسة او نظام ينقل الطفل من طبيعته البيولوجية Biologie nature إلى طبيعته الإنسانية Human nature كمؤسسة الأسرة .

وتظهرالعمليات الإجتماعية في الأسرة تظهر باشكال متعددة من تآلف وتعاون وتكييف وضبط مع ما يعترض ذلك من تنافس وإختلاف واحيانا صراع فدور الأسرة إذا هو دور أساسي في تشكيل ذوات الأطفال التي يتشكل من خلال التغذية والحماية والرعاية فالتنشئة الإجتماعية الصالحة التي تقوم بها الأسرة هي أساس النمو والإرتقاء .

لقد أكدت البحوث في هذا المجال أن هناك علاقة قوية بين التدعيم الأسري وبين إرتفاع درجة تاكيد الذات والقدرة على الانجاز الدراسي والإبداع والتوافق الاجتماعي ونمو الادراك.

والعكس صحيح فالتعسف واستخدام القوة في التنشئة والتربية الأسرية له تأثير على عدم توافق الأفراد مع أنفسهم ومع مجتمعهم .

فالأسرة إذا عبارة عن جماعة ال" نحن " وذلك بدرجات مختلفة ومتنوعة وعلى كافة الصعد فالنظام الإجتماعي للأسرة يتاثر بالعديد من الجوانب من دين وثقافة وعادات وتقاليد... ويتكون تبعا لها ويطبعها في شخصية الطفل منذ ولادته فقبل إلتحاق الولد بالمدرسة يكون قد إكتسب كثيرا من الأنماط الإجتماعية وبدأ بتكوين شخصيته من خلال إكتسابه للمعارف والعادات والاتجاهات التي تؤثر بشكل واضح على عملية تكيفه أو عدم تكيفيه في المتقبل (Education and sociologie 1995).

3-الوظائف واعمليات الإجتماعية للأسرة

يرى وليم أوجبرن Ogbrun العالم التربوي أن هناك سبع وظائف بناها على ما كانت تقوم به الأسرة في الماضي وهذه الوظائف هي :

الوظيفة العاطفية ، الإقتصادية ، التربوية ، الترويجية ، الدينية ، وظيفة الحماية ووظيفة المكانة العائلية .

أما هوارد بيكر Haword Backer يرى في وظائف الأسرة أمورا أخرى كالإنجاب ، حماية ورعاية الطفل الإنتاج الإقتصادي للسلع والخدمات التشكيل الإجتماعي للأطفال ، تربية الأطفال ، الترفيه، التفاعل العاطفي. هذه الوظائف قد يتضح بعضها وقد لا يتضح تبعا لتركيبة الأسرة وتركيبة المجتمع وما يحيط بهما من عوامل وتغيرات إلا أن هناك ثوابت بعمق الدور الأسري منها :

* دوام الوجود الإجتماعي : وهي الوظيفة الأولى للأسرة حيث يتم من خلالها تجدد وأستمرار الحياة البشرية

من خلال الانجاب.

* الرعاية والتوجيه : وهي وظيفة تبدأ منذ الولادة حيث يتوجب على كل أسرة إعالة أفرادها من غذاء وكساء

وصحة و... وتوجيههم مع ما يتوافق مع القيم والمبادئ والمعايير الأخلاقية .

* اشباع دوافع الوجدان والعاطفة

كل فرد منا يحتاج إلى أن يحب ويحب والأسرة هي خير من يوفلر ذلك على أن تكون العاطفة متزنة فتلبية

الحاجات النفسية العاطفية المتزنة من أهم وظائف الأسرة السليمة التي من دونها قد يتولد لدينا تدميرية . تفكك المجتمع وتهبط به إلى الحضيض

إذا يكمن جوهر العملية التربوية السرية في بناء الفرد الذي سيبنى مع الآخرين مجتمعا متعاونا ومترابطا لذا نستطيع أن ننظر للأسرة على أنها الميدان المؤسس لتفاعل الشخصيات والأفراد في إطار تكيفهم ومسايرتهم لنمط الحياة في المجتمع الواسع .

إلا أن ذلك لا يعني إستمرارية التوافق والإنسجام والتكيف مع سائر الأوضاع وبين سائر الأسر فالتعالرض أيضا هو حالة طبيعية ليس بين أفراد الأسرة نفسها بل أحيانا يظهر حتى بين المرء وذاته والتعارض بين الطفل ووالديه يعود إلى عوامل عدة أبرزها اليوم الهوة الثقافية والقيمية بين الأجيال جيل الآباء والأجداد مع جيل الأبناء وكما ذكرنا فإن الشعور بالإنتماء لجماعة ال " نحن " أي للأسرة كلها كان التفاعل بين الطفل ووالديه قويا وكلما كان الإنتماء والشعور به قويا كلما كان التعارض أقل وإضافة إلى الهوة الثقافية القيمية هنالك إختلاف في تحديد الأدوار من خلال عدم التحديد الواضح لظاهرة النضج المرتبطة بالمسؤولية والتي إختلفت عن السابق بين ما يسمى بالمجتمعات التقليدية والمجتمعات المعاصرة فغالبا ما يشعر أبناء هذا الجيل بأن

المسؤولية حمل ثقيل عليهم وأنها مفروضة عليهم فرضا وليست نابعة من قناعتهم الشخصية أو من الضرورة إليها وهذا التشويش الفكري قد يكون له أسباب أخرى وعديدة للتعارض منها عدم فهم الأهل لأولادهم وتسلطهم عليهم حتى بأبسط الأمور والتي تعد من خصوصيات الأولاد كالدراسة والعمل مثلا .

والواقع أن التعارض أمر لا مفر منه ورغم ما يحمله من سلبيات إلا أنه دليل دماء جديدة وحركة شرط أن يكون صادرا عن تفكير وتأني وليس عن أهواء متناثرة ومبعثرة وإلا فإن الأسر والمجتمع ككل قد يصل إلى تفكك لا تحمد عقباه .

4-المشكلات الأسرية

يزخر عالمنا اليوم بالعديد من المشكلات منها ما هو إجتماعي ومنها ما هو إقتصادي ومنها ما هو سياسي فالعالم اليوم هو عالم متسارع الخطى متماوج الأهواء لا حدود لحركته ولا لتغيره ذلك التغيير الذي ترك بصماته على كل مناحي الحياة والتي حملت الكثير من السلبيات خصوصا في مجتمعاتنا على الصعيد الإجتماعي وأول ما يتبادر إلى الأذهان بعد ذكر إجتماعي الواقع الأسري والمشكلات التي تلفه اليوم لأن الأسرة وكما ذكرنا هي نقطة الإنطلاق لكافة الصعد وتحديدا الإجتماعية.

- عدم التوافق العاطفي وهو من الأمور المهمة المساعدة على الإستقرار الأسري حيث يقر الباحثون أن هذا النوع من التوافق يخفف من حدة الصراع والتوتر ويخفف من درجة الخلافات بين الزوجين وعدم وجود هذا النوع من التوافق له سلبيات لا تقف عند الزوجين بل تتعداهما إلى أفراد الأسرة ثم إلى المجتمع ككل .
- العنف يرى موراي ستراوس M.Strauss أن هناك معيارا" ثقافيا" على ما يبدو ومسلم به لدى بعض الأسر يجيز للأفراد داخل الأسرة الاعتداء والضرب على بعضهم البعض في بعض المجتمعات وأيا" يكن المجتمع وأيا" تكن أسباب العنف الممارس إلا أن ما

يحسن هذه العلاقة هو القيم الأخلاقية والمبادئ الدينية السليمة فالبعد عنها لا يساعد إلا عللى الفكك وشدة الرفض لأي رابط.

- سوء معاملة الأطفال (جسديا" ونفسيا")

إن سوء معاملة الأطفال ليست ظاهرة حديثة والتبرير لها من جانب بعض الآباء والمدرسين والأوصياء ان هذا النوع من العقاب البدني الذي يراه البعض سوء معاملة إلا أن العديد يرى في طياته حفظ للنظام وضبط العلاقات وتصويبها ، وهناك من يراه نوعا" من الجهالة والقسوة والبعد عن الانسانية التي تستدعي تدخلا" لتقويمه.

وسوء المعاملة المذكور يأخذ وجهين أحدهما جسدي والآخر نفسي وكلاهما مؤثران سيئان على الصعيد الشخصي وعلى الصعيد البنائي للمجتمع.

والمعاملة السيئة سواء أكانت جسدية أو نفسية فإنها تؤدي في كلتا الحالتين إلى مشاكل إجتماعية خطيرة وتتزايده ويعتقد " ديفيد جيل " Davied Gill أن الميل في المستقبل لدى الأطفال الذين أسيئت معاملتهم تتجه نحو القتل والسرقة وارتكاب جرائم العنف المختلفة في المجتمع.[7]

- سوء الأوضاع الاقتصادية

يؤثر هذا العامل اليوم كثيرا على العلاقات الأسرية لأنه عامل يرهق كاهل الأسرة خصوصا إن لم يكن لدى أفرادها قدرة على تحمل هذا الواقع وعلى محاولة تغييره.

ان هذا العامل ليس بضرورة وضعه كسبب للمشكلات لأن ذلك يعود إلى نوعية الأفراد وتحملم وإيمانهم إلا أنه مما لا شك فيه أن عدم التوازن الاقتصادي بشكل عام يفقد الأسرة توازنها أيضا" خصوصا إذا ما ترافق الخلل والضعف الاقتصادي مع خلل مجتمعي وضعف قيمي.

- الهوة بين الجيلين (جيل الآباء وجيل الأبناء)

ان المتابع لواقع حياتنا اليوم يلاحظ ان كما" هائلا" من القيم الوافدة أثرت على نمط حياتنا وحياة أبنائنا ووسعت المسافة داخل البيت الواحد بين الولد وأهله ، فالأهل لم يعودوا أصحاب القرار الأول في رأي الولد كذلك ليسوا المصدر الوحيد للمعرفة وللتنشئة فهناك مصادر كثيرة ينسجم معها الولد أكثر من أهله يعيشها ويتعايشها من الهواتف خليوية الى أجهزة كمبيوتر الى ما هنالك من مستحدثات معلومات وتسالي وعروضات احتلت الجزء الأكبر من قلب وروح الأبناء يقابلها أحياناً رفض من الأهل مما ساهم في أكثر الأحيان في خلق مشكلات تزيد من الشرح بين الآباء والأبناء شرحاً يزداد حدة يوماً بعد يوم فهذا الالغاء او شبه الالغاء لدور الأهل الناتج عن وجود البدائل الحديثة وترك الأبناء يتحملون مسؤولياتهم وسط هذا الجو بعيد عن بناء العلاقة البناءة بين الأهل والأبناء هو أمر كارثي يستدعي أي عاقل للوقوف أمامه والتفكير الجدَي بإيجاد الخلول التي تعيد للأسرة مكانتها.

- حاجات الطفل والعوامل المؤثرة في نموه

وبعد ذكر هذه المشكلات وطرق التعامل القائمة بين الفرد وأسرته ، وجب علينا ذكر الحاجات التي يتوجب على الأسرة تأمينها للطفل وإشباعها له لما لها من تأثير على بناء شخصيات المستقبل فمعرفة حاجات الطفل وطرق إشباعها تساعد الفرد للوصول إلى أفضل مستوى من النمو النفسي والتوافق مع الذات ومع المحيط الذي يعيش فيه.

وتجدر الإشارة إلى أن مفهوم الدوافع والحاجات يختلف بين فرد وآخر وبين جماعة وأخرى وبيئة وأخرى إلا أن هناك حاجات أساسية يكاد علماء التربية والإجتماع يتفقون عليها وهي كالتالي:

أ- الحاجة إلى الإنتماء

الانسان هو ذلك الكائن الاجتماعي الذي لا يستطيع العيش منفردا" ومنعزلا" عن الجماعة ورب العالمين خلقنا شعوبا" لنتعارف وتتآلف فقد قال تعالى "وجعلناكم شعوبا وقبائل لتتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم" سورة فالفرد يتلمس في الجماعة أمورا" عدة ويسعى

لإشباع حاجات عدة من أهمها حاجته إلى الانتماء والتقدير والاحترام والتفاعل مع الآخرين فالعزلة من الأمور السيئة على الصعيدين الفردي والمجتمعي.

من هنا وعلى صعيد الأسرة يجب أن يشعر الأبناء بإنتمائهم ألى أسرهم وهذا لا يتآتى من فراغ فكلما ساهمت الأسرة في إفساح المجال لقيام كل فرد بدوره مع تقدير هذا الدور كلما كانت العلاقة صحيحة ومتينة ومتماسكة والعكس صحيح.

ب- الحاجة إلى الحب والمحبة

ان الحاجة الى الحب والمحبة هي من أهم المشاعر التي تبنى عليها الشخصيات السوية فشعور الفرد بأن هناك من يهتم لشأنه ولميوله وعواطفه كلما ازداد اندفاع هذا الفرد للإنضمام إلى الجماعة التي شاركته عواطفه وصفاته وكلما ضعف هذا الشعور بالحب والاهتمتم كلما ازداد شعوره بالنبذ والضعف واهمال.

ت- الحاجة الى الأمن

تعتبر هذه الحاجة من اهم الحاجات والأمور التي يتوجب توافرها يقول الرسول (ص) : "من كان آمنا في سربه ، معافي في بدنه ، عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بما فيها".

وتتضح هذه الحاجة عند كافة افراد المجتمع والطفل هو ذلك الكائن الذي يشعر بحاجته القوية للشعور بالأمان فهو المخلوق الأضعف والأكثر حاجة لهذا الشعور من أجل بناء سوى نفسي ومجتمعي مستقر.

والإستقرار الحقيقي لا يتآتى إلا من خلال الأمن والإشباع في بيئة إجتماعية أسرية صحيحة تميل إلى التعامل مع الآخرين بثقة وتقديرفالشخص الذي يفتقد لهذا الشعور يفتقد الإطمئنان والهدوء والثقة بنفسه وبالآخرين .

ث- الحاجة إلى تأكيد الذات

_يسعى كل منا لإثبات وجوده من خلال وجوده ومن خلال إعتراف الآخرين بهذا الوجود ، فالفرد بحاجة للإعتراف به وهذه الحاجة تستلزم أهمية خاصة من الأسرة كما تستلزم التركيز والعمل على إحراز مكانة ما أو تقدير ينطلق من الأسرة الى المجتمع ككل . والفرد الذي لا يستطيع تأكيد ذاته لا عبر أسرته ولا أصدقائه ولا كل محيطه قد يتوجه إلى الانضمام الى جماعة مضادة لقيمه ومبادئه تظهر تقديرا" له وتشبع هذه الحاجة لديه لكن بشكل غير سوى ومشوه.

ج- الحاجة الى اللعب

ركز العديد من الباحثين على أهمية اللعب لما له من وظيفة حيوية في إعداد الأطفال واشباعهم قبل دخولهم عالم الكبار هذا يرى عدد آخر من المفكرين أن اللعب ليس حاجة فقط بقدر ما هو سلوك واسلوب للتعليم والتشخيص والعلاج يخفف من القلق ويتيح الفرصة للتدريب وأيضا" للتهذيب وللتنفيس عن الطاقة الزائدة عن الطفل ويراه البعض الآخر أنه وسيلةلتجديد النشاط والتسلية والترفيه .

هذا المفهوم العام للعب إلا أن التعمق في هذا المفهوم يشير إلى أن لكل مرحلة من عمر الطفل لها خصوصيتها الجسدية والفكرية والنفسية وحسب ما يروي أمير المؤمنين "عمر بن الخطاب"(رضي) في مجال العلاقات والمراحل العمرية مايلي "لاعبة سبعا" وأدبه سبعا" وصاحبه سبعا" واترك حبله على الغارب" ، والحديث واضح بتقسيماته العمرية وبإعطاء كل عمر ما يستحقه مع بناء سليم ومراعاة كل مرحلة بما يتلائم معها.

ح- الحاجة إلى الإستطلاع

إن هذا الدافع من أهم الدوافع التي أدت إلى نمو و إطراد العلم والمعرفة ويشمل هذا الدافع على عدة مستويات حسية ، حركية ، معرفية ، إنفعالية ، وهذه الحاجة ايضا" تنمى من خلال وعي الأسرة وتشجيعها لطفلها ودعم ثقته بنفسه وأيضا" بالآخرين لذا يلاحظ ان النمو الاجتماعي للطفل يتأثر بالعديد من العوامل التي أثيرت حولها مناقشات عدة فهناك من يرى ان

الوراثة هي المسؤولة عن خصائص الإنسان وتزعم هذا الاتجاه مكدوجال Mc Dougall (1960) لأنه يولد فردا" مزودا" بعدد من الغرائز الفسيولوجية المتوارثة.

أما البعض الآخر فيرى أن البيئة وحدها هي المسؤولة عما يتصف به الإنسان من خصائص واكدوا أن السلوك الفردي حتى ولو كان مرضيا" فإنه نتاج لما تعلمه أثناء تفاعله مع الآخرين وتزعم هذا الاتجاه واطسون Watson (1951) حيث رأى أنه بالإمكان تشكيل شخصية الطفل كما يريد مربوه فقد يجعلون منه عالما" أو متشردا" وفقا" لما يتعلمه ويتدرب عليه.

والواقع الملموس يجمع بين الرأيين فشخصية الانسان تتشكل وفق مؤثرات متفاعلة من عوامل وراثية وعوامل بيئية إذ لا نستطيع إهمال أي منهما والثقل الأكبر في السنوات الأولى يقع على الأسرة وصدق الرسول (ص) حين يقول " كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته الأب راع ومسؤول عن رعيته والأم راعية ومسؤولة عن رعيتها" .

وتجدر الإشارة إلى أن الفصل الدقيق بين العوامل الوراثية والعوامل البيئية شبه مستحيل إلا من الناحية النظرية فالأنماط السلوكية التفاعلية تتحدد بشكل أو بآخر من العلاقات الأولية ويزداد وعيه ونموه بزيادة تفاعله مع المحيطين به [8] ومن أهم المحيطين به هوالأم ومن المعلوم أن حرمان الطفل من هذه العلاقة سيؤثر على نموه الجسدي والانفعالي والاجتماعي. [9]

6- نماذج واساليب تربوية

بناء" على ما تقدم نستطيع القول أن الطفل هو ذلك الوعاء الذي تصب فيه ا الأسرة قيمها ومبادئها وثقافتها... وكلما كان المحتوى جيدا" والتفاعل معه جيدا" كلما كانت الشخصية بناءة قوية وكلما كانت ضعيفة كلما كان التفاعل ضعيفاً. وبما أن هناك أساليب متنوعة لذا سيكون لدينا شخصيات متنوعة منها ما هو إيجابي ومنها ما هو سلبي تبعا" لتوجهات كل أسرة ولأساليبها التي أجمع علماء التربية على العديد منها ومن تلك الأساليب مثلا".

التربية من خلال العمل والتقليد والمحاكاة، التعزيز ، الوعظ والارشاد، القدوة ، المحاكاة العقلية ، الاستجواب ، الترغيب والترهيب ، رواية القصص وضرب الأمثال ، أسلوب العبر التاريخية...

هذه النماذج والطرق هي التي تبني في الطفل قيمة ومبادئه ولكل منها إنعكاس ودور فالتربية ليست أمورا" نظرية هي تطبيق ومراعاة ودراسة للحاجات وكيفية تلبيتها هي عمل قائم على المبادئ السليمة واول هذه المبادئ تعزيز ثقة الولد بنفسه وبمن حوله فالإطمئنان كما ذكرنا من أهم دوافعالنجاح مع رفع مداركه وقدراته كي يستطيع التمييز بين الصواب والخطأ القائم على إعتماد الوعظ والارشاد والترغيب والترهيب المعتمد على الأسلوب القصصي وضرب الأمثال الملائمة للموقف الذي يتعرض له الطفل ولعمره ولمدراكه.

فالولد في سنواته الأولى يحتاج للعب وسبق وذكرنا أهمية اللعب عند الأطفال وما يبنيه في نفوسهم من راحة وعاطفة وخيال وعندما يصبح الطفل قادر على تمييز الأمور يصبح ملزماً تأديبه وتوجيهه وذلك بشدة من غير عنف ولين من غير ضعف كما ورد عل الامام علي(رضي) فالقسوة ليست هدفا" ولا الدلال هدفا" الهدف الحقيقي هو تلمس شخصية قوية وسليمة.

ومع مرور الزمن وعندما يصبح الطفل شابا" مسؤولا" يطلب من الأهل مصاحبة الأبناء إشعارا" منهم بأهميتهم وبأن عم الطفولة قد مر وأصبح اليوم صديقا" ورفيقا" لوالديه يشكو همه لهم ويفتح قلبه لهم.

وبناء الشخصية ينطلق من تلك المبادئ الثلاث التي ذكرناها ويصبح بالإمكان تركه في عمر ملائم لإستقلاليته ولإعتماده على نفسه، هذا ما يجب فعله في كل أسرة.

والسؤال الذي يطرح في هذا المجال أين هي أسرنا من كل ذلك اليوم؟؟

وأين نحن من التفهم والوعي التربوي وسط هذا الخضم الواسع من بحر العمولة والقولبة؟؟

إن الإختلاف المعيشي والتغيير المجتمعي ترك الكثير من البصمات على الأسرة وللتعرف أكثر سنتوقف مع بعض الصور الحياتية للأسرة اليوم.

7-صور أسرية بين الأمس واليوم

يجمع الكثير من علماء التربية وعلماء الاجتماع على أن الطفل لا يولد شخصا" بل يولد فردا" ولا يتهيأ له هذا الانتقال إلا نتيجة التأثيرات الثقافية من لغة وأفكارا" وأهدافا" وقيما"....

وذلك يأتي بعد تلبية حاجاته البيولوجية كطفل أي الحاجات التي وضعها بلوم في قاعدة هرمه هرم الاحتياجات وبما أن السنوات الخمس الأولى من حياة الطفل هي السنوات الأكثر حسما" وخصوبة حسب رؤية الكثيرين من علماء التربية لذا واجب النظر إليها بتمعن ووجب أيضا" مراجعة الدور الذي تقوم به الأسر في هذه المرحلة العمرية.

فمع اتساع الهوة بين الأجيال ومع التدهور الاقتصادي القائم والتسارع التكنولوجي الذي شمل أغلب المجتمعات عليها نلاحظ أن الوجود الأسري لم يعد بذات الأهمية التي كان عليها سابقا" إذ احتلت وسائل التواصل الحديثة في جزء منها مكان الأسرة فهذه الوسائل فتحت وسهلت التواصل مع الأكثر بعدا" وأبعدت من هم أكثر قربا". فالجلسات العائلية والتقارب الروحي والمفاهيمي الذي كان سائدا" في أغلب الأسر لم نعد نراه اليوم إلا نادرا" فمثلا" الاحترام كان مفهوما" موحدا" بين الأجيال أما اليوم فقد أصبح له عدة أوجه لا يتفق عليها الحفيد مع الإبن مع الأب وتجدر الاشارة إلى أن الانفتاح الشديد الغير مدروس فتح المجال للتاثير بما يثبته الاعلام أكثر مما يتاثر باسرته.

هذا وفي حال نظرنا من ناحية اخرى نرى أن أجهزة التواصل الحديثة أثرت بالأبناء أكثر من تاثير الأهل عليهم وبالأهل أكثرمن اهمالهم بأبنائهم.قد سلب الجهازالخليوي اهتمام الأم بولدها فيصبح إهتمامها بالجهاز وباستخدامه يغلب على اهتمامها بأهل منزلها. وهذا يولد اهتمام الولد بما تهتم به أمه ويتولد لديه تعلق بالهاتف الخليوي يعادل أو يسبق إهتمامه بوالدته وتعلقه بها

في بعض الأحيان تعلقا" خاليا" من أي عاطفة حقيقية مع بعد عن الواقع بشكل لا يبني بداخل الولد أي مشاعر تقربه من أسرته كما كان سابقا" كانت العائلة تتوحد بالعمل ، فالولد لا يشعر بالبعدعن أسرته ولا من ناحية أمه ولا من ناحية أبيه لا بحجة العمل ولا بحجة الدراسة والمدرسة إضافة إلى ذلك يلاحظ أن الطفل في هذه البيئة يتعود على الاعتماد على نفسه مبكرا" ويعي ذاته بعيدا" عن الاملاءات الخارجية بل يعي ذاته انطلاقا" من ذاته ومن المحيط الطبيعي الذي يساعده أيضا" على ادراك التراتبية الأسرية وفهم معنى الاحترام الذي نفقد جزء" كبيرا" منهم اليوم بسبب هجمة الأفكار الغربية والغريبة عنا . فالثقافة لها علاقة بالنمو الاجتماعي للطفل حيث يمكننا القول أن الطفل مادام يحيا في بيئته إجتماعية قوامها الوحدات الاجتماعية الأولية المتمثلة بالأسرة والجيران وجماعات اللعب..وغيرها من تنظيمات المجتمع ، فإن الطفل عندها يكتسب من هذه الوحدات عادتها وقيمتها ومعاييرها وأفكارها مما يجعل منه كانت اجتماعي متوازن مع بيئته في نموه العاطفي ، الانفعالي ، الاجتماعي .

والى جانب هذا النمط المعيشي المتشابه والمتقارب في بيئته الثقافية والفكرية لا بد من اضاءة بسيطة على امر كان يعد من الأمور البناءة لعلاقات سليمة وصحية ألا وهي مجالسة الأطفال ورواية القصص المعبرة حيث تقودنا تلك القصص الى انارة العواطف والانفعالات لدى الطفل اضافة الى اثارتها للعمليات العقلية والمعرفية كالإدراك والتخيل فالقصص هي أوعية لنشر الثقافة فالعديد منها يحمل في طياته افكاراً ومعلومات علمية وتاريخية وجغرافية وفنية وأدبية ونفسية واجتماعية...

واليوم تغيرت هذه الصورة فكم من الأهل يا ترى يهتم بمجالسة أطفاله وبالتقرب منهم؟ كم من الأهل يروي على أبنائه القصص الشعبية والتاريخية والأدبية؟ من يهتم اليوم بحمل الأطفال من واقعهم والتحليق بهم بلطف الى عالم يتخطى أبعاد الزمان والمكان وينتج متنفساً لهم ولمشاعرهم؟

يظهر هذا البعد من الأبناء والآباء والأمهات اليوم عند أكثر العائلات مما يعكس الكثير من المساوئ التربوية فإهمال الحكايات والقصص وإهمال مجالسة الأطفال وتغذيتهم باليتم والأخلاق في هذا العصر يؤثر بشكل او بآخر على اضعاف الروابط والتقارب بين الجيلين ومما لا شك فيه أن الحاجة لبناء اليتم والمعايير الأخلاقية هي الأساس ببناء المجتمع ورقيه.

إذاً وبعد عرض هذه الصور المتعاقبة من اتساع الهوة بين الجيال وضعف متابعة الأهل والأولاد والتي ولدت استيعاباً للمفاهيم بأوجه مختلفة بين جيل وآخر كمفاهيم الاحترام، الحرية والمساواة...

هذا ونيتطيع القول أن أهمية الزواية والقصة في بناء الشخصية وتماسك الأسر أمر لا يستهان به من الناحية القيمية والثقافية والفكرية وبناءً على الواقع المعاش اليوم نجد أن الأسرة اليوم فقدت الكثير من معناها الحقيقي فهي تبدو بغالبيتها كهيكل شبه فارغ من العمق المعنوي التربوي.

واعتماد على ما تقدم يستطيع تخليص معيقات التكام والاندماج الاسري فيما يلي:

- استخدام وسائل الاتصال بشكل غير منضبط
- ضعف متابعة الطفل واعطائه حقه من الاهتمام والرعاية العاطفية
- عدم الاهتمام والمتابعة الجدية الأسرية
- إهمال الجلسات الودية الأسرية والتي كانت للقصة دور محوري فيها

8-نحو تنشئة أسرية صحيحة

اعتمادا" على ما تقدم نستطيع القول ان أغلب كل الأسراليوم تتعرض للعديد من المشاكل بعضها بسيط وبعضها معقد إلا أن أهمية وجود الأسرة وضرورتها يخفف من حدة هذه المشاكل فهي المؤسسة الأولى التي تقوم بصقل شخصية الفرد والمساهمة في ترقية المجتمع وتطويره

فهي المؤسسة التي لا يمكن الاستغناء عنها مهما عصفت بها وبنا الأحداث فضعف الأسرة يعني ضعف الفرد ومن ثم ضعف المجتمع وما المعاناة المجتمعية التي نراها اليوم من انحطاط فكري وانساني في العلاقات الانسانية وغياب التكامل الاجتماعي الا نتيجة لضعف الدور الأسري التربوي .

ومن أجل سلامة المجتمع وترابطه لا بد من عرض لبعض العوامل المساعدة على نجاح وتماسك الأسرة :

- التواصل الايجابي : يتولد من هذا التواصل الاحساس بالاشباع والرضا حيث يلعب التواصل دورا" مهما" في تسيير العلاقات بين أفراد المجتمع .
- التوافق الروحي : الى جانب الترابط المادي لا بد من الاهتمام بالجانب الروحي المعنوي وخير من يقوم بذلك الأسرة فبفضل هذا التوافق تزداد لديهم القدرة على حل المشاكل بطريقة فعالة .
- الإلتزام : ويقصد به معرفة كل فرد من أفراد الأسرة بحقوقه وواجباته على أن تكون الأسرة في الاعتبار الأول للفرد مع احترام حريته الشخصية .
- رفع المعنويات ومواجهة الضغوط النفسية : ويقصد بذلك التشجيع والبناء والقدرة لمواجهة الصعوبات النفسية والاجتماعية.
- التقدير والمحبة : وهو الذي يخفف من روتين الحياة ويخلق جوا" من التعاطف من خلال اعتماد إستراتيجيات عدة من اهمها ذكر المحاسن والتركيز عليها وذلك قبل توجيه النقد على امر ما معوتفعيل مفهومي الثواب والعقاب.
- قضاء الوقت سويا" : وذلك يعتمد كما ذكرنا من خلل تناول الوجبات وقضاء العطلات وغيرها من المواقف التي تدعم أوامر المحبة بين افرادها فالأسرة السعيدة هي تلك الأسرة

التي تسودها علاقات مستمرة تقوي الشعور بالإنتماء والتضامن والترابط الذي يعكس صورة ذلك كله داخل المجتمع وما أحوج مجتمعنا الى هذه الصورة.

المراجع

1-معجم الجامع (معجم عربي عربي)

2- B.C.Rollias and D.L Thomas A Theory of parental power and child compliance in crowm well and of sn power in families sage publications 1985.

3- Francis , J.Brown , Educationad Sociology 1995 .p.212

4- Abarn .w.Decline of the American Family , in E.G. payne Readings in educationad sociology 1932 p.252

5- Beker and Hill, R, Familly Marriage and parent hood 1984 p.47

6- Murray ,A,Straws wife Beating How common and why? Victim Logy vol 2N 3 1977 p.443

7- Julian Joseph social problem 3rd Edition Priencie-hall New Jersy 1980, pp 400-404

8-حضير مسعود الحضير المرشد التربوي لمعلمات رياض الأطفال مكتب التربية العربي القاهرة 1996

9- سيد عثمان علم النفس الاجتماعي التربوي مكتبة الخانجي القاهرة 1986

مواقع الكترونية

W htps/at ar.m.wikipedia.wiki

علم التربية – ويكيبيديا